شعر ناجى

للأستاذ دريني خشبة

لا يلبث الإنسان حين يقرأ شعر ناجي أن يستمع إلى نبضات قلب كبير ، ولا يلبث حين يفتح ديوانه أن يرى حوله جنات معروشات كلهن ألوان وكلهن نور وكلهن حياة ، وفيهن جمال وفيهن حب وفيهن دعة ؛ وبين تلك جميعاً قلب ناجي الفنان ينبض ويُلوِّن ويبتسم ، ويُنبت فردوسه الأعاجيب

وقلب ناجي هو باب شعره العذب ، بل هو معينه الذي لا ينضب . . . وقليل من الشعر من يودعون شعرهم قلوبهم ، وقليل منهم من تحس أن لهم قلوباً تقول هذا الشعر المنمق الذي ينظمون أو تدين به . . . لأنهم ينظمون الشعر صنعةً ولا يهزجون به طبيعة ، والشعر إن لم يكن من الدم فلن يكون في الألسن إلا كما يكون الصفير في فم البيغاء

وقلب ناجي قلب وادع نبيل في الحب ، وفاض بالرحمة ، ومسَّه الألم ، وانطبعت في صفحته الحياة بصورها المختلفة . فالحب والرحمة والألم تفيض صوراً حية في شعر ناجي ، والعجيب أنه أكثر شعرائنا ترديداً لقلبه في شعره ، حتى ليوشك أن يذكره في كل قصائده ، ولعله لا يعلم ذلك ، بل لعله لم يعرفه إلا الآن ، لأنه لا يتعمد شيئاً في شعره ، إذ كل هذا الشعر أو أكثره غناء ردده ذلك القلب ، وهتف به ذاك اللسان ، ودوَّنه هذا القلم . وأعجب من ذلك كله أن الصداقة بين ناجي وبين قلبه قد أنتجت لنا تلك الصور الخالدة في وصف هذا القلب الوادع .

فحب ناجي :

يشهد الليل عليه والنهارْ ... والشهيد المتوارى في الضلوعْ

وناجي :

يشرب من روعة السماء شعراً ... ويسقي الفؤاد وحياً

ويقول مناجياً :

وحرقت قلبي من سنا ... ك على جمال يضطرمْ

كفراشة حامت عليـ ... ـك وأي قلب لم يحُمْ !

ويذكر قلبه وهو يصف مغرب الشمس عند شاطىء البحر فيقول:

أما تلك فتظهر فيها قدرته الابتكارية وعبقريته الحقيقية »

وضع الأستاذ « أبو خلدون » دراساته على أصول الطريقة التي ذكر أسسها في شرح نظراته في آراء ابن خلدون ونظرياته . فنبه ، مثلاً ، إلى أن صاحب المقدمة استعمل كلمة العصبية « لغير معناها في المعاجم والاستعمالات الحالية » ؛ واستعمل كلمة العرب « بمعنى البدو والأعراب » ، فأدى ذلك إلى « أخطاء عظيمة » في فهم مقاصده ، وأظهره « بمظهر المتحامل على العرب ، وحمل بعض الشعوبيين على الاستشهاد به ، كما دفع بعض القوميين إلى الهجوم عليه »

وكشف الأستاذ الفضال خطأ الذين « ظنوا أن ابن خلدون يعزو أهمية كبيرة إلى البيئة الجغرافية ، كما زعموا أنه يعتبر الدين أهم عوامل الاجتماع » ؛ وأيد بالبحث والموازنة أن ابن خلدون أحق من الغربيين « باسم مؤسس فلسفة التاريخ أو علم التاريخ » و « بلقب مؤسس علم الاجتماع » ؛ وأظهر مكانة هذا العالم العربي في نظر علماء الغرب

جمع المؤلف النحرير أشتات كل رأي لابن خلدون من أبواب المقدمة وفصولها بعد أن نظر في الفصول المنسية في الطبعات المصرية والبيروتية المقدمة ، وهي موجودة في الترجمتين التركية والفرنسية المطبوعة في باريس ؛ وقابل هذه الآراء والمبتكر منها بما سبقها وبما جاء بعدها من آراء تتعلق بفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، وعيَّن ابتكارات ابن خلدون وبيَّن « كنه نظريته في العصبية ، وآراءه الأساسية في الحياة الاجتماعية البدوية والحضرية » ؛ فجاءت نظرته في المقدمة نظرة ناقد مثقف بصير

ألا إن فضل ساطع بك الحصري هو ، على الخصوص ، في الطريقة العلمية التي اتبعها في دراساته ، وفي اتجاهه وأسلوبه الفني في الإحياء الثقافي ، وفي قدرته على القيام بهذا العمل الدقيق النافع الذي توخاه ، وصنيعه النفيس دليل على تقديره وإجلاله لتراثنا العربي العظيم ، وعلى تحقيقه النظر فيه واجتهاده في تفهيمنا إيَّاه ونحن في حاجة ماسة ، ليست تنتهي في زمن قريب المدى ، إلى مثل هذا النوع من الكتابة والتأليف . وذلك وجه من أوجه الإحياء الذي يدعو إليه « الوعي القومي » لإيقاظنا من سباتنا العميق .

محمد توفيق السلحدار

نقول : هل الشمس قد خضّبته وخلت به دمها المهْرَقا
أم الغرب كالقلب ، دامى الجراح له طلبة عز أن تُلحقا
لنا الله من صورة فى الضمير يراها الفتى كلما أطرقا
يرى صورة الجرح طىّ الفؤا د ما زال ملتهباً محرقاً !

ويخاطب حبيبه ساعة الغروب فيقول :

قد جعلت النسيم زاداً لروحى وشربت الظلال والأضواء
مَرّ بى عطرها فأسكر نفسى وسرى فى جوانحى كيف شاء
نشوة لم تطل ، صحا القلب منها مثل ما كان أو أشد عناء !

ويناجى حبيبه الهاجر قائلاً :

أيُحرَم حتى وهم حبك من رمى بمهجته فى ناره دون إحجام
وأنفق فيه قلبه وشبابه فلم يبق إلا الجرح والشغف الدامى
ومن عجب أحنو على السهم غائراً
ويسألنى قلبى : متى يرجع الرامى ؟

وأسرى بوهمه ينشد الآمال فلم يصحب إلا قلبه ، فهو يقول :

انفردنا ، أنا والقلب عشيّا ننسج الآمال والنجوى سويّا
فركبنا الوهم ، نبنى دارها وطوينا الدهر والعالم طيّا
فبلغناها ، وهلّلنا لها ونزلنا الخلد فيناناً ندِيّا
ولقينا الحسن غضّاً والصبا وتملّينا الجلال الأبديا

* * *

قال لى القلب : أحقاً مابلغنا ؟ كيف نام القدر الساهر عنا ؟
أتراها خدعة حاقت بنا ؟ أتراها ظنّة مما ظننّا ؟
قلت لاتجزع فكم من منزل عزّ حتى صار فوق المتمنى
أذن الله به بعد النوى فثوينا ، واسترحنا ، وأمنا !

وينتظر حبيبه مرة فى ظلام وريح وبرد فيصف هذا ويشرك فى الوصف قلبه قائلاً :

ولما لم تفز بلقاك عينى لمحتك آتياً بضمير قلبى
فأسمع وقع أقدام دوان وأنصت مصغياً لحفيف ثوب
وأخلق مثلما أهوى خيالاً وأستدنى الأمانى والحبيبا
وأبدع مثلما أهوى حديثاً لناء صار من قلبى قريبا
أمد يدىّ فى لهف إليه أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقنى إلى لقياه قلبى وثوباً ... ثم يبرد فى ضلوعى ...

ويزكيه حبه ويطهره ، ويدنيه من منازل الملائكة :

سموت كأنما أمضى إلى رب يُنادينى
فلا قلبى من الأرض ولا جسدى من الطين !

ويقول وقد نعم بلقاه :

نحن أرواح حيارى افترقت ثم عادت فتلاقت فى شجاها
سوف ينسى القلب إلا ساعة من رضانى وكرك الحانى قضاها
هتف القلب وقد حدثنى أى ماض كشفت لى شفتاها
همست فى خاطرى فاستيقظت روحىَ الحيرى وأصغت لنداها
فأنا إن لم أكن توأمها فكأنى كنت فى الغيب أخاها
نحن أرواح حيارى ثملت وانتشت سكرى على لحن أساها

ويقول معاتباً على طول الهجر :

لقد أسرفت فيه وجُرْتِ حتى على الرمق الذى أبقيتِ فينا
كأن قلوبنا خلقت لأمرٍ فذ أبصرن من نهوى نسينا
شُغلن عن الحياة ونمن عنها وبتن بمن نحب موكلينا (١)
فإن ملئت عروق من دماء فإنا قد ملأناها حنينا

وتؤلمه الوحدة فيقول :

تلفت القلب مطموناً لوحدته وأين وحدته ؟ باتت كما بأنا
حتى إذا لم يجد ريّا ولا شبعا أفضى إلى الأمل المعطوب فاقتانا

ومن شعره وهو يافع :

عجباً لقلب هيض منك جَناحُه وجرى به نصل الندامة بذبح
ومضى الحمام يدب فيه ، فإن جرت ذكراك طار إليك وهو مُجنّح
لهفى على الناقوس بين جوانحى وعلى بقية هيكل لا تصلح !

وهكذا نسرف هذا الإسراف فى عرض تلك النماذج العالية من أشعار ناجى فى القلب عامدين ... لأننا مهما قصدنا فى إطراء هذا القلب النابض الذى أبدع لنا ذلك الشعر دون أن نعرض تلك النماذج القليلة ، فربما ظن ظان أننا نغلو فيما يذهب إليه من أحكام ...

والمظيم فى هذا الشعر أن أكثره مما سبق إليه ناجى

وابتدعه ابتداعاً ... فالشهيد المتوارى فى الضلوع ، والقلب الذى يحرقه الشاعر من سنا حبيبه على جماله المضطرم ، فهو كالفراشة تحوم فى هذا الحبيب ؛ وهذه الشمس الغاربة فى اليم بين السحب شبه الجرح فى القلب الواهن ؛ ثم هذا البيت الفريد :

ومن عجب أحنو على السهم غائراً ... ويسألنى قلبى متى يرجع الرامى !

هو ما يعدل ألف بيت من قيد الشعر عند من يقدرون الشعر ؛ ثم هنا المحب الذى ينتظر حبيبه فيلمحه آتياً بضمير قلبه ؛ ثم هذه الأحاديث التى يتحدثها القلب ، ثم هذا القلب الذى يسبق صاحبه للقاء الحبيب :

أمد يدىّ فى لهف إليه ... أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقنى إلى لقياه قلبى ... وثوباً ... ثم يبرد فى ضلوعى !

ثم هذا القلب الذى يطهره الحب حتى لا يكون من هذه الأرض ؛ وامتلاء العروق بالحنين بدل الدماء التى تتدفق من القلب ؛ واقتيات القلب بالأمل المطعون وقد خاب رجاؤه ... ثم هذا الفؤاد الذى هيض جناحه ومضى الحمام يدب فيه حتى إذا جرت ذكرى الحبيب طار إليه بجناحين قويين فتيين !

كل هذا وذاك من ثروة الشعر التى ينطوى عليها قلب ناجى والتى يجود بها سهلة هيّنة ليّنة فى غير تكلف ولا تعقيد

وللدم من حب ناجى ومن خياله وشعره نصيب عظيم . ألم نقل إن الشعر إن لم يكن فى دم الشاعر فلن يكون فى لسانه إلا كما يكون الصفير فى فم البيغاء ؟

إسمع إليه يقول وقد صافح حبيباً :

أهاب بنا قلبيّنا ... منادٍ ضمّ روحينا
كأنا إذ تصافحنا ... تعانقنا بكفيّنا
كأن الحب تيار ... سرى ما بين جسمينا
يؤجج فى نواظرنا ... ويشعل فى دماءينا !

ويخاطب القمر فيقول :

قمر الأمانى يا قمرْ ... إنى بهمٍّ مُسْقَم
أنت الشفاء المدّخرْ ... فاسكب ضياءك فى دمى !

ويخاطب الجمال الضنين :

كأنك النسّم النشوان منطلقاً ... أظل كالنفس الحيران أتبعه
تعال وادْنُ بيوم لا نحس به ... أجسادنا ، فى صفاء لا نضيّعه
لكن أحِسُّك تجرى فى صميم دمى
أنت الحياة ، وأنت الكون أجمعه !

ويسائل حبيبه متى يلتقى ؟

متى يرقّ الحظ يا قاسى ؟ ... ويلتقى المنسىُّ والنامى ؟
متى ! وهل من حيلة فى متى ؟ ... رفى خيالات وأحداس
هدّ قرارى جريها فى دمى ... وهمسها فى كر أنفاسى !

وهكذا يتدفق شعر ناجى من قلبه فى دمه ، وهكذا تروى به روحه وحواسه ، فيكون فيها حباً ورحمة وألماً ، وسترى كيف ينطبع هذا الشعر الجميل الوادع فى قلب ناجى صوراً تشمل الحياة كلها ...

(يتبع)

ومن هنا ومن هناك

إدارة البلديات — مياه

تقبل العطاءات بادارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٣ مايو سنة ١٩٤٤ عن إنشاء حوض لترسيب المياه بأسوان وتطلب المواصفات والشروط من الإدارة على ورقة تمغة من فئة الثلاثين مليما نظير مبلغ جنيه مصرى واحد خلاف ٦٠ مليما مصاريف البريد من الإدارة المذكورة ٢٠٨٧